الدرس الثاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال شيخ الإسلام الإمام الأواب محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وقدَّس الله روحه في كتابه «كشف الشبهات» قال:

فبعث الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دينهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى، لا يصلح منه شيءٌ لغيرهِ لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أنَّ الله الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

****

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بعد أن بدأ المقدمة التي مرت معنا في كتابه «كشف الشبهات» والتي أوضح فيها اتفاق النبيين على الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإخلاص الدين له، وكسر الأصنام وتحطيمها، وكسر صور الصالحين التي يتعلق بها من أشرك بغير الله عز وجل، وأنَّ من أُرسل فيهم هؤلاء الأنبياء أُناسٌ يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا ،لكنهم جعلوا بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله عز وجل تقربهم بزعمهم إلى الله زُلفى وتكون لهم شفعاء عند الله عز وجل ؛ فيقول رحمه الله: «**فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم**»؛ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم : لأن العرب كانوا على دينه، وكانوا حنفاء على دين أبيهم إبراهيم عليه صلوات الله وسلامه إلى أن حصل فيهم التحول من التوحيد إلى الشرك؛ بسبب عَمرو بن لُحَيْ الذي سَيَّبَ السوائب وغيَّر دين إبراهيم .

قد مَرّ معنا في الحديث الذي أشرت إليه بالأمس وهو في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى عَمرو بن لُحَيْ يجر قَصَبة في النار وأنه سَيَّبَ السوائب وغَيَّرَ دين إبراهيم، وهو الذي جاء بالأصنام من جدة ونشرها بين العرب ودعا العرب إلى عبادتها والاعتقاد فيها، فتحولوا من التوحيد إلى الشرك؛ فبُعِثَ محمد صلى الله عليه وسلم لإعادتهم إلى التوحيد، لإعادتهم إلى الاعتقاد الصحيح الذي هو دين إبراهيم الخليل إمام الحنفاء عليه صلوات الله وسلامه.

قال: «**يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم**»، والتّجديد يكون لما انْدرس من أمور الدين ولما غُيِّرَ وبُدِّلَ منه؛ بأن يبين لهم الحق التوحيد الخالص والإيمان الصافي ويحذرهم عليه الصلاة والسلام من الشرك بالله عز وجل.

قال: «**ويخبرهم**» أي: يخبر هؤلاء المشركين الذين بُعِثَ فيهم عليه الصلاة والسلام «**أن هذا التقرب والاعتقاد**» أي الذي يعتقدونه في الأصنام والأنداد وما يصرفونه لها من أنواع التقربات وأنواع العبادات، من النذر والذبح والدعاء والاستغاثة وغير ذلك، قال: «**يُخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد مَحْضُ حق الله**» أي: خالص حق الله ليس لأحد فيه شَرِكة، ولا يستحق أحدٌ منه شيئا؛ لأنه حق الله تبارك وتعالى وحده، فبُعِثَ عليه الصلاة والسلام ليبين لهم أن هذه الأمور التي يمارسونها مع الأصنام والأوثان هي حق الله عز وجل، وليس لهذه الأصنام أيُّ أحقية فيها سواء كانت صور صالحين أو غير ذلك، ليس لها أي أحقية في هذه الأمور لأنها محض حق الله؛ أي خالص حق الله عز وجل، لا يستحقها أيُّ مخلوق كائناً من كان، لا مَلَك مُقرَّب ولا نبي مرسل ولا وليٌّ من الأولياء ولا صالح من الصالحين فضلاً عن غيرهم، هذه أمور لا يستحقها إلا الخالق العظيم والرب الجليل تبارك وتعالى.

«**أن هذا التقرب**» أي الأعمال التي يقدمونها للأصنام متقربين بها إليها، من أجل أن تقربهم إلى الله عز وجل ، ومن ذلكم الذبح والنذر والدعاء والاستغاثة وغير ذلك.

«**والاعتقاد**» أي اعتقادهم في هذه الأصنام أنها وسائط بينهم وبين الله تقربهم إلى الله عز وجل وتدنيهم منه، فهم يعتقدون فيها ذلك؛ ولهذا يدعونها وينذرون لها ويذبحون لها ويصرفون لها أنواعاً من العبادات؛ لهذا الاعتقاد الذي قام في قلوبهم تجاه هذه الأصنام.

قال: «**لا يصلح منه**» أي التقرب والاعتقاد «**شيءٌ لغير الله**» ؛ لا يصلح منه شيء لغير الله؛ أي أنه حق الله عز وجل. وهنا أيضاً يُنبَّه إلى أنه لا يشفع لمن يقدم هذه الأعمال التي لا تصلح إلا لله لغيره، لا يشفع له أن يسميها أو يسميها له أشياخه بغير اسمها، كأن يدعو غير الله ويستغيث بغير الله ويطلب المدد والعون من غير الله ويقول: "هؤلاء شفعاؤنا عند الله"، فهذا لا يشفع له، لا يشفع له صرف حق الله لغيره تحت مسميات أيًّا كانت، كما نبّه العلماء رحمهم الله في هذا المقام: (تغيير الأسماء لا يغير الحقائق والمسميات).

وعبر التاريخ يمكر أهل الباطل بالناس مكرًا كُبَّارًا من هذا الباب، يغيرون أسماء المحرمات الشرعية والمناهي في الكتاب والسنة، ويسمونها بأسماء أخرى حتى تنفُق عند الناس وعند الجُهال، وهذا كثير جداً كتسمية الربا «فوائد»، وتسمية الرشوة «إكرامية»، وتسمية المخدرات والمسكِرات «مشروبات روحية»، إلى غير ذلك من الأسماء التي يُمَكِّنُ أصحاب الباطل بطرحها للباطل في نفوس الناس. فالشاهد أن تغيير الأسماء لا يغير الحقائق، وهؤلاء وإن سموا أعمالهم شفاعة أو توسلاً أو نحو ذلك من الأسماء هو في الحقيقة شرك بالله، اسمه الشرعي اسمه الحقيقي الشرك بالله، من يدعو غير الله ويستغيث بغير الله ويصرف أنواعاً من العبادة لغير الله، اسم عمله «الشرك»، هذا هو اسمه، ولا يتغير عن حقيقته إن سمي توسلاً أو سمي شفاعةً.

قد قال المشركون قديماً -كما ذكر الله عنهم في القرآن- قال عز وجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، فهذا القول لا يسوّغُ لهم هذا الباطل. ولا يزال أهل الضلال والانحراف في هذا الباب يسمون هذه الأعمال الشركية والممارسات الشركية توسلاً أو شفاعةً أو نحو ذلك من الأسماء.

قال: «**لا يصلح منها شيء لغير الله، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل**» ؛ خص بالذكر الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين؛ لأنهم أفضل خلق الله، أفضل عباده، ملائكته المقربون وأنبيائه المرسلون هم أفضل خلق الله عز وجل وأفضل عباده، فإذا كان هؤلاء الصفوة وهؤلاء العباد المصطفون لا أحقية لهم في العبادة ولا في شيء منها، فإن غيرهم من باب أولى ، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]، فهؤلاء الصفوة من عباد الله تبارك وتعالى لا يستحقون من العبادة أيّ شيء، فغيرهم من باب أولى وأحرى ؛ ولهذا فإن الشيخ رحمه الله تعالى عقد في كتابه التوحيد بابين متتاليين:

الأول: بيَّن فيه أن الأنبياء لا يستحقون شيئا من العبادة.

والباب الآخر: بيَّن فيه أن الملائكة لا يستحقون شيئا من العبادة.

باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:١٩١]، والباب الثاني: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]. بيّن في الأول: أن الأنبياء ليس لهم في العبادة أي حق، وأورد قول الله عز وجل لنبيه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، وأورد من النصوص والشواهد ما يدل على ذلك. وأورد أيضًا في حق الملائكة أن الله عز وجل إذا تكلم بالوحي خرت الملائكة صَعِقة خَضَعاناً لقوله عز وجل، حتى إذا زال الفزع عن قلوبهم أي قلوب الملائكة، ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾[سبأ:٢٣] ؛ فهذا يبين أن الملائكة مع كِبَرِ خَلْقِها وشدة قوتها لا تستحق من العبادة أي شيء، وشأنها مع الله عز وجل هو هذا ؛ أنها تفزع وتخر صَعِقةً ولا تملك من أمرها أو أمر غيرها شيء، الأمر كله لله عز وجل، وهكذا الشأن في الأنبياء. وإذا كان الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون لا يستحقون من العبادة أي شيء، فإن غيرهم من باب أولى وأحرى، قال: «**لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلا عن غيرهما**».

قال: «**وإلا فهؤلاء المشركون**» أي الذين بُعِثَ فيهم عليه الصلاة والسلام مُقرُّون «**يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده**»، هؤلاء المشركون مُقرُّون أي: مُقرُّون لله عز وجل بالربوبية، التفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وإذا سئلوا من خلقكم؟ من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ من خلق الجبال؟ من خلق الأنهار؟ من الذي بيده أزِمَّة الأمور؟ كل ذلك يقولون: الله، فهم مُقرُّون لله تبارك وتعالى بالربوبية، ويشهدون أنه تبارك وتعالى رب العالمين،

ولا يعتقدون في الأصنام أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت وتتصرف في هذا الكون، لا يعتقدون ذلك، يعتقدون أن هذا كله بيد الله عز وجل، يقرُّون بذلك، والآيات على ذلك كثيرة وسيأتي بعضها عند المصنِّف رحمه الله تعالى.

مُقرُّون «**يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن؛ كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره**»، هذا من الأمور التي يعتقدها المشركون الذين بُعِثَ فيهم عليه الصلاة والسلام، يعتقدون ذلك كله؛ بل وأيضاً –وهذا نبه عليه المصنِّف قريباً– يعبدون الله ويحجون ويتصدقون ويصلون الأرحام ويطعمون الطعام ويتصفون بأخلاقٍ فاضلة، عندهم مثل هذه الأشياء، ومشكلتهم –كما نبهنا على ذلك بالأمس– في توحيد العبادة، لا يجعلونه خالصاً لله، نعم يعبدون الله؛ لكن لا يجعلون العبادة خالصةً لله تبارك وتعالى؛ بل يجعلون مع الله الشركاء في العبادة، ولا يجعلون مع الله الشركاء في الربوبية، الربوبية يرون ويعتقدون أن الله هو المتفرد بها، إذا قيل لهم من خلقكم؟ يقولون الله، لا يقولون الله والأصنام، من يرزقكم؟ يقولون: الله، لا يقولون الله والأصنام، من الذي يحييكم ويميتكم؟ يقولون: الله، لا يقولون الله والأصنام، من الذي يدبر الأمر؟ يقولون: الله، لا يقولون الله والأصنام.

وإذا قيل لهم من تعبدون؟ من تلجؤون إليه في دعائكم؟ من الذي تلجؤون إليه في سؤالكم؟ في طلبكم؟ يقولون الله والأصنام!، هنا المشكلة، في توحيد الربوبية يخلصون ويعتقدون أن الخالق الرازق المنعم المتصرف هو الله سبحانه وتعالى، وهذا سيأتي دلائله وشواهده من القرآن، وفي توحيد العبادة من تعبدون؟ لا يقولون الله وحده، كما يقولون ذلك إذا قيل من خلقكم؟ من رزقكم؟ من يحييكم؟ من يميتكم؟ يقولون الله وحده، لا يقولون: الله و الأصنام، فإذا قيل: من تعبدون؟ يقولون الله والأصنام.

مر علينا الحديث الذي في المسند قال النبي عليه الصلاة والسلام لأحدهم: ((كم إلهاً تعبد؟))، قال: "سبعة، ستة في الأرض، وواحد في السماء". ولو قيل لهذا: كم خالق لك؟ كم رازق لك؟ كم مدبر لأمرك؟ ماذا يقول؟ يقول: واحد ، الذي في السماء؛ هو الذي يخلق، هو الذي يرزق، هو الذي يدبر الأمر؛ لكن العبادة هي التي حصل عندهم فيها خلل. والخلل الذي وقع فيه هؤلاء في باب العبادة من جهة اعتقادهم أن هذه الأصنام وسائط بينهم وبين الله عز وجل تقربهم إلى الله، مثل ما يفعل سواءً بسواء عُبَّاد القبور، مثل ما يفعل عُبَّاد القبور الذين يعكفون عند القبور ويذبحون لها وينذرون لها النذور ويبكون عندها ويتذللون ويخشعون ويخضعون، إذا قيل لهم لماذا هذه الأعمال؟ يقولون: هؤلاء لهم مكانة عند الله ومنزلة عند الله ونريد أن يقربونا إلى الله زلفى، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].

قال: «**يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو**»، لاحِظ عبارة الشيخ دقيقة، قال: «**أن الله هو الخالق وحده**»، هكذا يعتقدون أن الله الخالق وحده «**لا شريك له**»؛ أي لا شريك له في الخلق، حتى إنهم كانوا يقولون في تلبيتهم في تقرير هذه الحقيقة، كانوا يقولون في حجهم وفي تلبيتهم: "لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك"؛ أي أن هذا الذي نعبده معك ونتخذه شريكاً لك هو مملوك لك، أنت تملكه وهو لا يملك، هكذا يعتقدون؛ يعتقدون أنها مملوكة لله، مخلوقة لله، وأن الخالق الرازق المحيي المميت المدبر للأمر هو الله وحده جل وعلا لا شريك له، أيضاً السماوات ومن فيهن، الأرضون ومن فيهن كلهم عبيد لله عز وجل وتحت تصرفه.

وقوله: «**كلهم عبيده**» المراد بالعبودية هنا العبودية العامة، عبودية الذل والخضوع لأمر الله عز وجل، وقضائه ، فقدرته سبحانه وتعالى لهم شاملة، ومشيئته فيهم نافذة، وهم طوع تسخيره وتدبيره، له الأمر سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكلهم عبيد الله أي تحت تصرفه وتدبيره، لا خروج لأحد منهم عن تدبير الله عز وجل وتسخيره سبحانه، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

قوله: «**وتحت تصرفه وقهره**» توضيح لقوله: «كلهم عبيده» أي أنهم مماليك له مربوبون مسخَّرون يتصرَّفُ فيهم تبارك وتعالى كيف يشاء ويحكم سبحانه وتعالى فيهم بما يريد، لا رادَّ لحكمه ولا معقب لقضائه سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله :

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، **وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾** [المؤمنون:٨٤-٨٩]، **وغير ذلك من الآيات.**

****

جادة الشيخ رحمه الله هي جادة أهل السنة والجماعة؛ اتباع الدليل وقُفُو النصوص، ولا يقول ما يقول إلا مستنداً على دليل ، ولهذا درج أهل السنة في كتب الاعتقاد وعموم ما يؤلفون ذِكر الحكم أو الأمر مضمومًا إلى دليله من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، خلافاً لما عليه أهل الأهواء وأهل الباطل الذين لا تراهم يعوّلون على كتاب الله ولا على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ بل يتخذون لأنفسهم مصادر شتى ومنابع مختلفة ، عنها

يأخذون اعتقادهم ويتلقون دينهم، أما أهل السنة فاتخذوا إمامهم كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، فلما ذكر هذه الحقيقة في شأن المشركين أنهم يشهدون أن الخالق وحده الله، الرازق وحده الله، المحيي هو الله، المميت هو الله ؛ لا شريك له في شيء من ذلك، لما قرر أن المشركين يعتقدون ذلك، قال: إذا أردت الدليل على أن المشركين يشهدون بهذه الأمور اقرأ هذه الآيات، ليس أمراً جاء به من عنده –رحمه الله– أو ادّعاه، وإنما أمرٌ هو مقرر في كتاب الله عز وجل، إذا أردت الدليل على ذلك اقرأ هذه الآيات.

فقوله رحمه الله: «**إذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا**»، «يشهدون بهذا» الإشارة إلى ما سبق، وهو أنهم يقرون بأن الخالق الرازق المحيي المميت المدبر هو الله، هؤلاء الذين يعتقدون هذا الاعتقاد قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام. وهنا تعجب غاية العجب إذا علمت أن في أمة محمد عليه الصلاة والسلام من يعتقدون أن معنى «لا إله إلا الله» لا خالق إلا الله، وهذا من غاية العجب، ويثبتونه في كتب تُقرأ وتُحفظ وتروج بين الناس! أن «لا إله إلا الله» معناها : لا خالق إلا الله! لو كان معناها "لا خالق إلا الله" لما نشب قتال ولا وُجد خصومة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولم تُرَق دماء ولم تذهب أرواح، إذا كان معنى «لا إله إلا الله»: لا خالق إلا الله، هل يتردد المشركون في قبول ذلك؟ فهذا من غاية العجب، وهو أمر يأتي التنبيه عليه لاحقاً.

الشاهد: أن المشركين كانوا يعتقدون أن الخالق الرازق المحي المتصرف في هذا الكون هو الله وحده لا شريك له، والدلائل على ذلك كثيرة.

قال: **إذا أردت الدليل على ذلك فاقرأ قوله تعالى:** ﴿قُلْ﴾ أي: أيها النبي لهؤلاء المشركين، قل لهم: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾، ماذا سيكون جوابهم؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أي الله وحده هو الذي تفرّد بهذه الأشياء، تفرّد برزقنا من السماء والأرض، تفرد بملك السمع والبصر، تفرّد بإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي، تفرّد بتدبير الأمور، لا يعتقدون في أصنامهم أنها تفعل شيئا من ذلك أو تقوم بشيء من ذلك، ولهذا قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ أي سيقول لك المشركون عندما تسألهم هذا السؤال: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾؛ أي الله وحده، فقل لهم حينئذٍ: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؟!، ما دمتم تعتقدون هذا الاعتقاد وتقرون هذا الإقرار وتؤمنون هذا الإيمان، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف:١٠٦] ، معنى الآية كما قال ابن عباس وغيره: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ ربًّا خالقًا رازقًا محييًا مدبرًا متصرفًا ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي: معه في العبادة، فقل لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؟! أي ألا تتقون الله! تعلمون أنه وحده الخالق، وحده الرازق، وحده المحيي، وحده المميت، وحده

المدبر للأمر، وتتخذون معه الشركاء!! ألا تتقون الله؟! قال: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي أفلا تتقون الله عز وجل وتَطَّرِحُون هذا الشرك الذي تمارسونه والباطل الذي تقترفونه، وتخلصون لله رب العالمين التوحيد فلا تعبدون إلا إياه ولا تسألون إلا إياه، أفلا تتقون؟!.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ﴾ [المؤمنون:٨٤] أي: قل أيها النبي لهؤلاء المشركين الذين يتخذون الأنداد قل لهم: ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟ مَن المالك للأرض؟ من المدبر للأرض؟ من الذي سخر الأرض؟ من الذي أوجد الأرض؟ ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ أي من الناس والدواب والأشجار والمخلوقات، لمن هذه الأشياء؟ هل هي لهذه الأصنام التي تعبدونها؟ سيقولون: لا، لله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٥] هذا جوابهم وهذه عقيدتهم وهذا هو إيمانهم وهذا الذي هو يعتقدونه في قرارة نفوسهم كما أخبرنا بذلك رب العالمين جل وعلا،كما أخبرنا من بعث في هؤلاء محمدًا عليه الصلاة والسلام رسولاً وبشيرًا ونذيرًا ، أخبرنا عنهم سبحانه أنهم إذا سئلوا هذه السؤالات يقولون: الله. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٥]، أين تذكرهم؟! أين تفكرهم في الأمر؟! أين تدبركم للحقيقة؟!، لماذا تتخذون الأصنام؟! لو تذكرتم قليلاً وتدبرتم الأمر قليلاً لوجدتم أن هذه الأصنام لا تستحق شيء من العبادة، الذي يستحق العبادة كلها من تفرد بخلق هذه الأشياء، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢]؛ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا: أي شركاء في العبادة، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنه لا خالق لكم غير الله؛ هذا هو معنى الآية، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله.

قال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون:٨٥-٨٧] أي ألا تتقون الله عز وجل بترك الأنداد والبُعد عن اتخاذ الشركاء ! وأنتم تقرون أن الله عز وجل وحده رب السماوات السبع ورب العرش العظيم. ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾. قوله: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ أي: كيف تُخدعون وتصرفون عن طاعته تبارك وتعالى وتوحيده! مع إيمانكم وإقراركم واعترافكم بأنه المتفرّد بخلق هذه الأشياء وتدبير هذه الكائنات لا شريك له؟!

قال رحمه الله: «**وغير ذلك من الآيات**» أي الآيات الدالة على إيمان المشركين وإقرارهم بأن الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر هو الله تبارك وتعالى وحده.

قال رحمه الله تعالى:

إذا تحققت أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يُدْخِلهم في التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفتَ أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد»، كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل ليشفعوا لهم ، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل: اللات، أو نبياً مثل: عيسى .

****

قال: «**فإذا تحققت**» أي : كان عندك علمًا متحققًا وأمرًا ثابتًا راسخًا «**أنهم مقرون بهذا**» أي مقرون بربوبية الله وخلقه للمخلوقات وإيجاده للكائنات، إذا تحققت من ذلك، وأقول هنا مُنبهًا: ومن الذي لا يتحقق من ذلك؛ وآيات الله تُتْلى بينةً في تقرير هذا الأمر وبيان هذه الحقيقة!!

قال: «**إذا تحققت أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يُدْخلهم في التوحيد**» أي: هذا الإقرار منهم لله بالربوبية لم يدخلهم في التوحيد، لم يكونوا موحدين بذلك؛ بل وُصِفوا مع وجود هذا الإقرار عندهم بأنهم مشركون، لا يوصفون بأنهم موّحدون مع إقرارهم بأنه وحده الخالق، وحده الرازق، وحده المحيي المميت، يوصفون بأنهم مشركون، لماذا؟ لأن هذا الإقرار وحده لا يُدخل الإنسان في التوحيد، الإقرار لله بالربوبية بالخلق بالإحياء بالإماتة وحده لا يُدخل الإنسان في التوحيد.

قال: «**إذا تحققت أنهم مقرون بهذا، وأنه لم يُدْخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم**» والمراد بالتوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو توحيد الله في العبادة الذي كان عندهم خلل فيه، فكان يدعوهم إلى ذلك، وكان يقول لهم: ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) أي وحّدوا الله عز وجل في العبادة، اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره، اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.

قال: «**وأنه لم يُدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة**» وهذا أمر ينبّه عليه ويؤكّد عليه كثيراً رحمه الله؛ التوحيد الذي جحده المشركون هو توحيد العبادة، ليس التوحيد الذي جحده المشركون توحيد الربوبية ، بل الشواهد والدلائل كثيرة على أن المشركين مُقرّين بتوحيد الربوبية، مُعترفين بأن الرب الخالق الرازق المنعم هو الله سبحانه وتعالى ، مع أن بعض المنَظِّرين لعبادة القبور في زماننا هذا وقبله يقولون: إن قول المشركين عندما يُسألون من الذي خلقكم من الذي

رزقكم من الذي يحييكم؟ قولهم: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾، هذا لا يقولونه على وجه الإقرار، وإنما على وجه المجادلة! وأن المشركين في الحقيقة لا يُقرّون بالربوبية، لماذا؟ لأن التوحيد عند هؤلاء القبوريين هو: الإقرار لله بالربوبية وهو معنى لا إله إلا الله!، وإذا ثبت أن المشركين مُقرّين أصبح توحيدهم وتوحيد المشركين الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم سواء ، إقرارهم في الربوبية ، وأما جانب العبادة فهو مُضَيَّع عندهم وعند أولئك، ولهذا حاول بعض مُنَظِّري هؤلاء أن يحرِّفوا في معاني هذه الآيات ودلالاتها من أجل أن يوجِدوا فرقاً بينهم وبين أولئك، مع أن الأمر الذي عليه هؤلاء هو الذي عليه أولئك؛ يقرون لله بالربوبية، ولكن جانب العبادة يجعلون مع الله سبحانه وتعالى فيه الشركاء.

قال: «**وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا :الاعتقاد**» أي: الاعتقاد في الأولياء، الاعتقاد في من يسمونهم بالسَّادة، الاعتقاد في الأشياخ؛ في الصالحين، فالتوحيد الذي جحدوه -أي جحده المشركون- هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) ، مثل أن يقول قائل هؤلاء: "أنا أعتقد في الشيخ فلان، أو أعتقد في الولي الفلاني، أو أعتقد في السيّد الفلاني، أعتقد أنه رجائي وأملي ومنجدي ومنقذي وشفيعي وواسطتي أعتقد ذلك، وبناء على هذا الاعتقاد يوجد التقرُّب إليه بالنذور، بالذبائح بالقرابين، بالبكاء، بالعكوف عند قبره، عند ضريحه بالمناجاة ، بالطلب، بالتوسلات "إن لم تكن آخذاً بيدي من الذي يأخذ بيدي، إن لم تُنقذني" تبدأ هذه الأمور التي تترتب على ماذا؟ على هذا الاعتقاد الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد» أي : الاعتقاد في الأولياء، أو في الساده أو في المقبورين أو في الأضرحة أو نحو ذلك، والذي يُبنى عليه أنواع التقربات .

«**كما كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً**» قوله "كما كانوا يدعون الله ليلًا ونهارًا" : أي المشركين الذين بُعِث فيهم عليه الصلاة والسلام كانوا يدعون الله ليلًا ونهارًا ؛ أي من الأعمال التي يقومون بها: أنهم يدعون الله، يسألون الله، يطلبون حاجاتهم من الله سبحانه وتعالى. لكن هل هذا الدعاء يخلصونه لله؟ أم أنهم يدعونه ويدعون معه غيره؟ يسألونه ويسألون معه غيره؟ يلتجئون إليه ويلتجئون معه إلى غيره؟ ما شأنهم في هذا الباب؟

قال : «**كما كانوا** -أي المشركون الذي بُعِث فيهم عليه الصلاة والسلام- **يدعون الله ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله عز وجل، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل: اللات، أو نبياً مثل: عيسى**» ؛ فهنا المشكلة: يدعون الله ليلًا ونهارًا ، يتوجهون إلى الله بالدعاء بالسؤال بالطلب بالالتجاء؛ لكنهم لا يُخلصون دعاءهم لله ، بل يدعون معه إما ملكاً من الملائكة لأجل صلاحه وقربه من الله، أو رجلاً صالحاً من أجل صلاحه ومكانته، أو نبياً من الأنبياء ، هذا الدعاء الذي يوجد عندهم لهؤلاء سببه ماذا؟ سببه الاعتقاد، يعتقد في النبي أو الولي أو الملَك ويعظمه تعظيمًا لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى، ثم يلتجئ إليه في سؤاله وطلبه ودعائه ورجائه ورغبه ورهبه.

قال: «**كما كانوا يدعون الله ليلًا ونهارًا**» يدعون الله ليلًا ونهارًا؛ لكنهم لا يُخلصون لله الدعاء، ولهذا نبّه المصنِّف قال: «**ثم منهم من يدعوا الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله أو يدعوا رجلاً صالحاً مثل اللات**»، اللاتّ بالتشديد، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم:١٩-٢٠]، «اللاتّ» بالتشديد، قيل في التفسير: أنه رجل كان المشركون يعتقدون فيه الصلاح؛ لأنه كان من صنيعه أن يَلُتَّ العجين، يلُتّ السويق للحجاج؛ حجاج بيت الله، فكان يعجن العجين ويلت السويق ويصنعه ويهيأه ويقدمه قِرىً وضيافةً للحجاج، نوع من الكرم، فكانوا معجبين بهذا الرجل لكرمه وسخائه وبذله، فلما مات عكفوا على قبره وأخذوا يجعلونه وسيطًا وشفيعًا لهم عند الله لقربه بزعمهم عند الله عز وجل.

قال: «**أو يدعون رجلاً صالحاً مثل: اللّات، أو نبياً مثل: عيسى عليه السلام**» قد قال الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦] .

قال رحمه الله تعالى:

وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨]، وكما قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد:١٤].

****

قال: «**وعرفت**» أيضاً إضافةً إلى ما سبق، وهذه الأمور التي ينبه عليها الشيخ رحمه الله إذا عرفت كذا وعرفت كذا، وعرفت كذا؛ هذه لا بد أن تُضبط، ويُحَبَّذ على طالب العلم أن يحفظها، يحفظ هذه المقدمات، إذا عرفت كذا وعرفت كذا وعرفت كذا؛ لأنها أمور نبّه الشيخ أنه لابد أن يتحقق الإنسان منها، يكون متحققاً بها، ويكون منها على يقين وثبات وعلم بها وبأدلتها ؛ لأنها إذا ضُبِطت هذه الأمور ضبطًا تاماً وعُرِفت بدلائلها كانت عمدةً وأساساً لإبطال ما سيأتي من شبهات أهل الشرك والباطل .

فهذه أمور ركائز ودعائم وأُسس لابد أن تُعرَف في الكتاب في كشف الشبهات، هذه الشبهات لأجل أن تُكشف وتُبطَل لابد أن تعرف كذا وتعرف كذا وتعرف كذا، وتتثبت من كذا ، وتكون على يقين من كذا، فهذه أمور لابد منها، ولهذا أُأَكِّد أن هذه الأمور لابد أن تضبط ضبطاً جيداً من طالب العلم مع أدلتها. وإذا ضبطت هذه الأمور مع أدلتها، والشيخ لم يستقصي الأدلة وإنما أشار إلى البعض، فأنت إذا ضبطت هذه الأمور وضبطت أدلتها تجد أنك محتاجاً إليها فيما بعد في كل كشف شبهة لهؤلاء المشركين؛ لأنك تحتاج فيما بعد في كشف الشبهات أن

تقول: إن من الأمور المتقررة في القرآن كذا، ومن الأمور المتقررة كذا، ومن الأمور المتقررة كذا ، والدليل كذا ؛ يصبح الحق واضح وبيّن وشواهده واضحة، وماذا بعد الحق إلا الضلال، فإذا ظهرت هذه الأمور واتضحت ما سواها شبهات لا قيمة لها ، وقد يُكتفى في إبطالها بتقرير هذه القواعد ،كما سيظهر لك هذا فيما بعد ، قد يكتفى في إبطال الشبهات بتقرير هذه القواعد؛ لأنه سيتبين من تقرير هذه القواعد وإظهارها وإبرازها بأدلتها أن ما سواها قطعاً هو باطل، سيظهر أنه هو قطعاً باطل ، وماذا بعد الحق إلا الضلال؛ لكن ما وجه بطلانه؟ كيف يُكشَف؟ تبقى هذه المسألة تفصيلية يتناولها أهل العلم كأن يقول العالم: هذا حديث موضوع لأن في سنده فلان فلا حجة فيه، أو يقول: هذا الحديث ضعيف، أو الذي فهمتموه من هذا الحديث غير مُسَلَّم، ولا يفهم من الحديث كذا، أمور تفصيلية تأتي فيما بعد؛ لكن هذه القواعد هي الأساس، أساس كشف شبهات أهل الباطل هذه القواعد ، لابد أن تُضبط وأن تكون عند طالب العلم أمور راسخة ثابتة بدلائلها وشواهدها من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

قال: «**وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾**[الجن:١٨]» أي أن هؤلاء المشركين مع ما كانوا عليه من الإقرار لله بالربوبية وما كانوا عليه من الدعاء –دعاء الله وعبادته لكنهم لا يخلصون لله– مع ذلك قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله ، فإذا كانت هذه الأمور التي كانوا عليها وأشار إليها الشيخ لم تكن كافيةً ولا منجيةً لهم؛ بل قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام ووصفهم بأنهم كفار وأنهم مشركين ، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده في آيات كثيرة جداً، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾؛ ﴿أَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾: أي المبنية التي بُنيت أن تقام فيها الصلاة، ويذكر فيها الله ﴿لِلَّهِ﴾: أي وحده، بُنِيت لله وحده، ليعبد فيها وحده تبارك وتعالى ولا يُجعل معه فيها الشركاء، وقيل ﴿الْمَسَاجِدَ﴾ أي: مواضع السجود وأعضاء السجود لله؛ فلا يُصرف شيء من السجود والذل والخضوع إلا لله تبارك وتعالى، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، و«أَحَدًا» جاءت نكِرة في سياق النهي فتفيد العموم؛ أي أيَّ أحدٍ كان، لا تدعو مع الله أحداً أي أيَّ أحدٍ كان، لا ملكٌ مقرب ولا نبي مُرسَل ولا ولي من الأولياء ولا غيرهم، لا تدعو مع الله أحداً أي أيَّ أحدٍ كان.

وكما قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد:١٤]، ﴿لَهُ﴾ أي: لله، وهذه الآية في سورة الرعد بعد أن ساق تبارك وتعالى من أول السورة البراهين على تفرده تبارك وتعالى ووحدانيته ؛ تفرده بخلق السماوات والأرض والجبال وغير ذلك، وسِعة علمه وإحاطة ملكه ، وغير ذلك مما ذكر تبارك وتعالى، ختم ذلك بقوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ ؛ أي المتفرد بهذه

الأشياء وخلق هذه الأشياء وإيجادها هو وحده الذي له دعوة الحق ، وهو سبحانه وتعالى الحق جل وعلا، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، والحق اسم من اسمائه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[الحج :٦٢] فالله عز وجل هو الحق، ودعوة الحقِّ لله جل وعلا، فلا يُدعى إلا الله، ولا يُلجأ إلا إلى الله، ولا يصرف شيء من العبادة إلا لله، وصرف شيء من العبادة لغيره شرك بالله عز وجل، وهو أبطل الباطل وأظلم الظلم وأشد الضلال.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ فدعاؤه وصرف الدعاء له، والذل والخضوع له وحده هذا هو الحق، وهو المستحق لذلك وحده تبارك وتعالى، وأما من سواه فلا يستحقون شيئاً من ذلك، قال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾[الرعد: ١٤].

قال رحمه الله تعالى :

وتحققتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله، وعرفتَ أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يُريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم؛ عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

****

يقول الشيخ رحمه الله : إذا عرفت كذا وعرفت كذا وعرفت كذا وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم، أُعيد مرة ثانية، المشركون الذين بُعث فيهم رسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بأن الخالق الرازق المحيي المميت المدبر للأمر هو الله وحده لا شريك له، وأيضاً كانوا يدعون الله ويحجون لبيته ويذبحون لله وينذرون لله، يقومون بهذه الأعمال لكنها لا يجعلونها لله خالصة، بل يجعلون معه فيها الشركاء. أقول هؤلاء المشركون الذي يقرون بهذه الأشياء ويعبدون الله ويدعونه قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام، وقتاله لهم أمرٌ معلوم في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وفي كتب التاريخ ، قاتلهم ودارت بينه وبينهم معارك طاحنة وشديدة، وذهبت أرواح كثيرة من المسلمين ومن الكفار، قاتلهم ، لماذا قاتلهم؟ مع أنهم كانوا يقرون أن الخالق الله الرازق الله المحيي المميت الله المدبر للأمر الله، وكانوا يدعون الله، ويذبحون لله وينذرون لله، لماذا قاتلهم ؟

قال: «**وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله**»، ما يُجعل مع الله فيها شريك ولا مقدار ذرة، لأجل

ذلك قاتلهم، فهم نعم يقرون أن الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، يقرون بذلك ويعبدونه ويدعونه ويسألونه، المشرك إذا قيل له هل الله معبود؟ هل الله يُدعى؟ يُسأل؟ هل تسأله؟ هل تدعوه؟ هل تذبح له؟ هل تنذر؟ يقول "نعم"؛ لكن لو قلت له: أنفِ هذه الأمور عن غير الله، لابد أن تنفي هذه الأمور عن غير الله، لا تكون من أهل الإيمان إلا إذا نفيتها عن غير الله، «لا إله» لابد من النفي، لا توحيد إلا بالنفي، نفي العبودية عن كل من سوى الله، عندما يُطلب منه نفي هذه الأمور عن غير الله هنا يقف ، لا يتردد المشرك في أن الخالق الله الرازق الله المحيي المميت، لا يتردد، ولا يتردد أيضاً في أنه معبود وأنه يُدعى ويُسأل ويطلب منه ويُذبح له ويُنذر، هذا أيضاً لا يتردد فيه؛ لكن إذا قيل له هذه الأمور يجب أن تنفيها عن غير الله هنا يقف، ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[ص:٥]، هُنا الخصومة، ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ﴾ أجعل المعبودات معبوداً واحداً لا ندعو إلا الله وحده! لا نسأل إلا الله وحده! لا نذبح إلا لله وحده! لا ننذر إلا لله وحده، هنا الخصومة التي كانت بينهم، ولهذا يقول الشيخ: «**قاتلهم** -أي النبي عليه الصلاة والسلام- **ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله**» إذا عرفت هذا وتحققت منه، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخلهم في الإسلام كما سبق إيضاح ذلك، وهذه معاني مهمة جداً ، ولهذا الشيخ يُبدي ويعيد في هذه الحقائق: «**وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخلهم في الإسلام**» وعرفت أيضاً: «**أن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يُريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم؛ عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون**» ؛ وكأن الشيخ رحمه الله يقول لا يمكن أن تفهم التوحيد إلا بمعرفة هذه الحقائق، لابد من العلم بهذه الحقائق، أن تعرف كذا وتعرف كذا وتعرف كذا وتعرف، بهذه الحقائق تعرف التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون، وهو مدلول كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، قال: «وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله» .

قال رحمه الله :

وهذا التوحيد هو معنى قولك «لا إله إلا الله»، فإن (الإله) عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور ، سواء كان مَلَكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرةً أو قبرًا أو جِنّيًّا، لم يريدوا أن (الإله) هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدّمتُ لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيِّد)، فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي: «لا إله إلا الله»، والمُراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجُهَّال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو: إفراد الله

تعالى بالتعلُّق ، والكفر بما يُعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: ((قولوا لا إله إلا الله))، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

****

قال رحمه الله: «**وهذا التوحيد**» أي التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى المشركون من قبوله والإذعان له «**هو معنى قولك: لا إله إلا الله**»، فالتوحيد هو مدلول (لا إله إلا الله)، و(لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد، ولا توحيد إلا بتحقيق هذه الكلمة، و«لا إله إلا الله» قائمة على ركنين: النفي والإثبات؛ نفي العبودية عن كل من سِوى الله أيًّا كان، نفيٌ عام للعبودية عن كل من سوى الله، وإثبات العبودية بكل معانيها لله وحده، هذا هو التوحيد، ولهذا يجب أن يُعلم أنه لا توحيد إلا بالنفي والإثبات، التوحيد قائمٌ على رُكنيْن لابدَّ منهما، ولا يكون الموحِّد موحداً إلا بهما، وهما: النفي في أول هذه الكلمة والإثبات في آخرها، النفي في أولها للعبودية عن كل من سوى الله، والإثبات في آخر هذه الكلمة للعبودية بكل معانيها لله وحده، فـ«لا إله » نافية للعبودية عن كل ما سوى الله، و«إلا الله» مثبتة للعبودية بكل معانيها لله وحده.

فمن نفى ولم يُثبت لا يكون مُوحِّداً، ومن أثبتَ ولم ينفِ لا يكون مُوَحداً، من نفى ولم يُثبت يكون ملحداً، ومن أثبت ولم ينف يكون مشركاً، ولا يكون المرء موحداً إلا إذا نفى وأثبت، إذا جاء بالنفي والإثبات معاً، أرأيتم من قال: "أنا أُقِر بأن الله معبود ،وأعبده وأدعوه وأسجد له وأركع وأذبح له وأنذر، أعتقد ذلك وأفعل ذلك؛ لكن لا أنفي هذه عن غيره"، هل يكون مُوحِّداً؟ حاشا وكلاّ، لا يكون موحِّداً، لابد في التوحيد من النفي، من لم ينفِ العبودية عن غير الله لا يكون مُوَحداً، ولو أثبت أن الله معبودًا وعبده دون نفيٍ للعبودية عن غيره لا يكون موحداً، التوحيد لابد فيه من النفي والإثبات ؛ ولهذا يقول الشيخ: «**وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله**» .

ثم أخذ يشرح معنى الإله، والمنظّرون في عُبّاد القبور حصل منهم عبث ومحاولة للتغيير في المعاني، فقالوا: "معنى لا إله إلا الله: لا قادر على الاختراع إلا الله، أو لا خالق إلا الله، أو لا رازق ولا مدبر للأمر إلا الله" .

يقول الشيخ رحمه الله: «**وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله، فإن (الإله) عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور**»؛ "فإن الإله عندهم" من هم؟ أهل اللسان الذين بُعِث فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام، أهل اللسان العربي الذين بعث فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام لما قال لهم: ((قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا))، يعرفون معنى (لا إله)، ويعرفون معنى (الإله)، يعرفون معناها جيداً ، باللسان العربي المبين الذي خوطبوا به يعرفون معناها، ولو قال لهم: قولوا لا خالق إلا الله تُفلحوا المسألة تختلف في فهمهم للسان العربي عن قوله لهم: ((قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا))؛ لأنهم يعرفون معنى الإله، (الإله) معناه عندهم -يعني عند أهل اللسان- الذي يُقصد بهذه الأشياء؛ يُقصد بالذل بالخضوع بالدعاء بالرجاء بالانكسار بالتألُّه

لله دَرُّ الغانيات المِدّهِ ** سَبَّحْنَ واسْترجَعْنَ مِن تَأَلُّهِ

أي تعبُّدِ ، التألُّه: التعبُّد، والمألوه هو المعبود، ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧]، ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَٰهَتَكَ﴾: أي عبادتك، التألُّه هو: التعبُّد، والإله هو المعبود، أهل اللسان يعرفون ذلك، ولهذا يقول الشيخ رحمه الله: «**فإن (الإله) عندهم** -أي عند أهل اللسان، اللسان العربي الذين بُعث فيهم عليه الصلاة السلام- **هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور**»، هو الذي يُقصد أي بالذبح والنذر والدعاء و الرجاء والسجود والركوع ونحو ذلك من الأعمال لأجل هذه الأمور التي هي طلب الشفاعة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: «**هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور سواء كان مَلَكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرةً أو قبرًا أو جِنّيًّا**» والمعنى: أن من دعا مَلَكاً أو ذبح له أو نذر له، أو شجرةً أو نبياً أو ولياً فقد اتخذه إلهًا، وأصبح ليس من أهل «لا إله إلا الله»، ليس من أهل التوحيد؛ لأنه لا يكون من أهل التوحيد إلا إذا نفى هذه الأشياء عن غير الله تبارك وتعالى.

قال: «**لم يريدوا**» أي أهل اللسان العربي الذين بُعث فيهم عليه الصلاة والسلام «**لم يريدوا أن (الإله) هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده**»، ولو كانوا يريدون بالإله: الخالق، ولو كان معنى الإله في اللسان العربي: الخالق الرازق لكان الأمر مختلفاً ؛ عندما قال لهم عليه الصلاة والسلام: ((قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا))، ماذا سيكون؟ سيقولون: "لا إله إلا الله"، إذا كان معنى «لا إله إلا الله» أي لا خالق أو لا رازق إلا الله؛ لأنهم هم يعتقدون هذا الأمر، ولا يكون منافيًا لشيء يعتقدونه.

قال: «**لم يريدوا أن (الإله) هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيِّد)**»؛ الشيخ يوضح هذه المعاني من خلال وقائع معايَنة ومشاهَدة، المشركون في الأزمنة المتأخرة يطلقون على المعبود الذي يصرفون له الدعاء والذبح والنذر يطلقون: «السيّد» ، وعندما يقال فلان السيِّد أو السَيِّد فلان أصبح مرتبطاً في قلوبهم بسبب الباطل الذي اكتنفها أن له حق في الذل، حق في الدعاء، حق في الخضوع والرجاء، حق في الانكسار والخضوع ؛ له حق في هذه الأشياء، سيِّد، فالسيد هذه الكلمة أصبح منصبغًا عند هؤلاء الذين يعبدون القبور ويعبدون الأضرحة والقباب ونحو ذلك أصبح مرتبطاً عندهم بهذه الكلمة أن السيِّد له شيء له أحقية ؛ بل ارتقى الأمر ببعض هؤلاء إلى حدٍّ لم يبلغه المشركون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ اعتقدوا في بعض من يسمونهم بالسيد أو السادة أن عندهم تصرف في الكون!، وهذا أمر ما بلغه المشركون، عندهم تصرف في الكون؛ تدبير، إحياء وإماتة، حتى قال بعض المشاهير من دعاة القبور في زماننا، قال: "من الذي يقول أنه المتفرِّد بالخلق هو الله ؟!" يعني معنى كلامه في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤] يفهم من الآية، يقول: "الأولياء عندهم قدرة"، ويقول: "إن الولي يستطيع أن يخلق الجنين في رحم الأم؛ ولكنهم لا يفعلون ذلك حتى لا تختلط الأنساب"، من أجل المصالح وإلاّ يقدرون ،

ويقول الله يقول في القرآن : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ يقول: "هذا يدل على أنه يوجد خالقين مع الله"، هذا ما قاله المشركون، ولو قال هذا القائل هذا الكلام لأبي جهل لصفعه أبو جهل على وجهه، قال: ما تفهم أنت! فهذه أمور متقرر وراسخ وثابت أن الله سبحانه وتعالى متفرد بها ، والآيات واضحة في هذا المعنى، فبلغ في بعضهم الأمر مبلغاً لم يبلغه حتى المشركون الذين بعث فيهم النبي عليه الصلاة والسلام، وسيأتي عند الشيخ لاحقاً قوله: «تباً لمن كان أبو جهل أعلم منه بالتوحيد» .

قال : «**فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيِّد)**»، و«السيّد» هذه الكلمة أصبحت عند أهل القبور تعني ما أشرتُ إليه أن من يُطلق عليه هذا اللقب له حق في الذُل؛ له حق في الخضوع، في الانكسار، حتى إن بعضم إذا وقف عند قبر من يُسمَّى بالسيِّد يخضع خضوعاً لا يكون منه في صلاته! ويبكي بكاءً لا يكون منه عند قيامه بين يدي ربه في الصلاة!، يخضع خضوع وذل، وهذا مبني على هذا الاعتقاد في هؤلاء.

قال: «**فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي: (لا إله إلا الله) ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مُجرد لفظها**» مجرّد اللفظ لا يكفي ولا يكون به الإنسان من أهل التوحيد، لابد من تحقيق الشهادة بلا إله إلا الله، وهذا لابد فيه من العلم كما قال الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، في صحيح مسلم من حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله)) ، وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف:٨٦]، الحق: لا إله إلا الله، يَعْلَمُونَ: أي معنى ما شهدوا به، فلابد من العلم بمعناها. المراد من هذه الكلمة معناها لا مُجرد لفظها ؛ فمن قال هذه الكلمة وهو لا يفهم معناها لا تفيده ، ومن قال هذه الكلمة وهو يفهم منها معنًى لا تدل عليه لا تفيده ؛ لو قال قائل: لا إله إلا الله، وقيل له ما معنى لا إله إلا الله؟ قال: "معناها أي أن الله قادر على الاختراع"، أو "لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله"، لا يكون بهذا الفهم من أهل لا إله إلا الله حتى يفهم معناها ومدلولها الذي دلَّت عليه ؛ وهو عبادة الله عز وجل وعدم الإشراكِ به، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣] هذا هو معنى «لا إله إلا الله» ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦] هذا هو معنى «لا إله إلا الله»، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥]، هذا هو معناها ، قال الله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، هذا هو معناها، هذا هو معنى (لا إله إلا الله): أن يُعبد الله عز وجل وحده وأن لا يُتَّخذ معه الشركاء.

قال: «والكفار الجُهَّال يعلمون أن مُراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو: إفراد الله تعالى بالتعلُّق، والكفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه»؛ الكفار الجُهَّال أي الذين بُعِث فيهم عليه الصلاة والسلام كانوا يعلمون أن مُراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلُّق، والكفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه . ما الدليل على أن الكفار المشركين الذي بُعِث فيهم عليه الصلاة والسلام كانوا يعلمون أن معنى (لا إله إلا الله): إفراد الله بالتعلق ؛ يعني بالذل بالخضوع بالذبح بالنذر بالرجاء، والكفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه؟، ما الدليل؟ يقول الشيخ: «**فإنه لما قال لهم: ((قولوا لا إله إلا الله)) قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾**[ص:٥]» ؛ قال لهم: ((قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا)) فالجواب؟ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ، بل أخذوا يتواصون على الصبر على عبادة الآلهة: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[ص:٦]؛ يعني يُدبَّر بكم ويخطط ويُمكر بكم حتى تُحْرَفوا عن هذا الدين فانتبهوا ، وتواصوا بالصبر على عبادة الآلهة، وأيضاً أخذوا يتفاخرون: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾[الفرقان:٤٢] لولا أن كنا مُتَحلِّين بالصبر لحرفنا محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه الآلهة، كل ذلك قالوه عندما قال لهم: ((قولوا لا إله إلا الله تُفلِحوا))، فهموا أن «لا إله إلا الله» تعني إبطال عبادة هذه الأصنام وإخلاص العبادة لله تبارك و تعالى؛ ولهذا قال عز وجل في آية أخرى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[الصافات:٣٥-٣٦]؛ لأن «لا إله إلا الله» تعني ترك الآلهة وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى.

وأيضاً خذ الدليل على ذلك في قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب ، وقد أوردها الشيخ رحمه الله في كتابه التوحيد في باب إنك لا تهدي من أحببت ؛ لما حضرت أبا طالبٍ الوفاة أتاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله))، وكان عنده أبو جهل وبعض المشركين عند رأسه فإذا قال له : ((يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله)) يقولون: "لا؛ بل على ملة عبد المطَّلب". إذًا لما قالوا له هنا في هذا المقام: "بل على ملة عبد المطلب"؛ لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم له: ((قل: لا إله إلا الله)) تعني ماذا؟ إبطال الأصنام وإبطال عبادة ودعاء غير الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قالوا له: "بل على ملة عبد المطلب".

أريد أن أسألكم هنا ثلاث أسئلة مفيدة؛ قولهم: "بل على ملة عبد المطلب" هل ملة عبد المطلب إنكار وجود الله؟ هل ملة عبد المطلب إنكار أن الخالق الرازق المنعم المتصرّف المدبر لهذا الكون هو الله؟ هل هذه ملة عبد المطلب، هل ملة عبد المطلب جحْد أن الله معبود يُعبد ويُصلّى له ويُرْكع ويُسجد ويُدعى، هل هذه ملة عبد المطلب؟ لا ،

ماهي ملة عبد المطلب؟ ملة عبد المطلب الإقرار بالأشياء المتقدمة واتخاذ الشركاء مع الله في العبادة؛ في الدعاء، في الذبح في النذر، هذه ملة عبد المطلب . ولهذا لما قالوا له هنا في هذا المقام: "بل على ملة عبد المطلب" أي: في دعاء الأصنام مع الله والذبح لها والنذر لها والتقرب إليها والمحافظة على هذا الأمر الذي تُنافي وتبطله (لا إله إلا الله)؛ ولهذا لما قال له: ((قل: لا إله إلا الله كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله))، قالوا له: "بل على ملة عبد المطلب"، ومات وهو يقول هو على ملة عبد المطلب، أبىٰ أن يقول «لا إله إلا الله» .

قال: «فإنه لما قال لهم: ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾».

قال رحمه الله تعالى :

فإذا عرفت أن جُهَّال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهاَّل الكفار؛ بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله ، فلا خير في رَجُلٍ جُهَّال الكفار أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله».

****

قال رحمه الله تعالى: «**فإذا عرفت أن جُهَّال الكفار يعرفون ذلك**»" جُهال الكفار :أي الذين بعث فيهم نبينا عليه الصلاة والسلام ؛ يعرفون ذلك: أي يعرفون معنى (لا إله إلا الله) وأنها تعني: إفراد الله بالتعلُّق، والكفر بما يُعبد من دونه والبراءة منه، إذا عرفت ذلك «**فالعجب ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهاَّل الكفار**».

ثم هنا لاحظوا أمر يُستفاد من قول الشيخ: «بل يظن...» إلخ ؛ من لم يعرف معنى هذه الكلمة حقيقةً معناها الصحيح الذي دلّ عليه الكتاب ودلت عليه السنة ويُعرف باللسان العربي وقد فهمه الكفار الذين بُعِث فيهم عليه الصلاة والسلام، من لا يعرف معناها الصحيح فهو في أحد طريقين:

- قال: «**بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني**» ، هذا مسلك ؛ بعضهم يظن أن تحقيق (لا إله إلا الله) هو أن يتلفظ بحروفها دون أن يعتقد القلب بشيء من المعاني، هذا مسلك من المسالك، (لا إله إلا الله) كلمة تُقال وتردد لكن لا يعتقد القلب لشيء من المعاني.
- المسلك الآخر: قال «**والحاذق منهم** -أي الذي يدّعي الحذق والفهم والدراية بالأمور- **يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله**» .

فمن يجنح عن المعنى الصحيح لـ «لا إله إلا الله» له أحد مسلكين: إما أن يظن أنها كلمة تُقال دون أن يُعتَقَد أو يعتقِد القلب لشيء من المعاني التي تدل عليها . والمسلك الآخر: وهو من يدّعي الحذق والفهم من هؤلاء يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله.

فيقول الشيخ آسفاً على حال هؤلاء: «**فلا خير في رَجُلٍ جُهَّال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)**»؛ لأن الشيخ وضَّح قريبًا أن جُهال الكفار المشركين الذين بعث فيهم عليه الصلاة والسلام كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة ، ولهذا امتنعوا من قبولها واستكبروا عن النطق بها وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ؛ فيتعجب الشيخ ثم يختم بقوله: «فلا خير في رَجُلٍ جُهَّال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله) ».

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا جميعاً من أهل لا إله إلا الله حقاً وصدقا، وأن يحيينا على التوحيد وأن يميتنا عليه ، وأن يهدينا سواء السبيل.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.